الفصل الرابع

تعلّم التلامذة ونموّهم هدف مشترك

قد يختلف الأهل والمربّون على مسائل كثيرة في الحياة المدرسية والسياسات التربوية المختلفة التي تحكمها، لكنّهم لا شكّ يتّفقون على هدف واحد فيما خصّ تعلّم التلامذة، وهو مساعدة هؤلاء على تفعيل تعلّمهم وتحسينه وتحقيق التقدّم الأكاديمي والنموّ النفسي والجسدي الضروريَّين. ويظهرُ هذا الأمرُ جليّاً عندما تسألُ أحد المعلمين أو مدير مدرسة عن سبب تميُّز تلميذ عن رفاقه في مختلف المجالات، فيجيبُك: «والداه يتابعانه»، «أمّه دائماً تأتي إلى المدرسة لتسأل عن أدائه»، «والده لا يتغيّب عن اجتماع مدرسي»، «أهله وضعوا له نظاماً منذ أن كان صغيراً ممّا ساعده على تطوير عادة الدرس اليومي»، وغيرها من المقولات. فكما للمعلّمين دور هام ومصيريّ في هذا المجال، هكذا للأهل أيضاً دور محوريّ في تقرير نجاح تعلّم ولد ما أو فشله.

١. دور الأهل في تعلّم التلامذة في البيت

يحتاج الأولاد في عالمنا الحاضر إلى كلّ مساعدة ممكنة ومتوفّرة من أهلهم، كما من كلّ المعنيّين بالشأن التربوي، للتمكّن من تحقيق النجاح في تعلّمهم المدرسي. فالوقت الذي يقضيه الولد في المدرسة، على أهميّته، يبقى أقّل بكثير من الوقت الذي يقضيه في المنزل، علماً أنّه

في بيته يتصرّف على سجيّته، في حين أنّه في المدرسة، يجتهد كي يحافظ على سلوك يتماشى مع سياسة المدرسة وأنظمتها. وهذا يعني أنّ حياة الولد البيتيّة تظهرُه على حقيقته ممّا يوفِّر إمكانيّة أفضل لمتابعة نموِّه و شؤونه التربوية.

من هنا تنشأُ أهميّة دور الأهل في مساعدة الولد على استيعاب كلّ تعلّم جديد وترسيخه لديه من خلال المتابعة اليوميّة والتمرّس. ولا تكتمل عمليّة التعلّم لدى التلميذ إلاّ عندما ينجح الأهل بتحويل أوقات الدرس وتتميم الواجبات المدرسيّة في البيت، إلى أوقات متعة نفسيّة وإلى اختبار يُشعر الولد بأنّ:

- التعلّم يستطيعُ فعلاً أن يكون مصدر متعة ومحطّة تفاعل إيجابي
- التحصيل الأكاديمي مهمّ جداً ويفتح أبواب النجاح في الحياة أمامه
- التوقّعات التي يضعها المرء لذاته، إن عمل بجديّة لتحقيقها، تساعده كي يصوغ لذاته المستقبل الذي يريد.

أثبتت التجارب أنّ تشجيع الأهل ومساعدتهم كي يكونوا أدوات فاعلة في تعلّم أولادهم من قِبَل المدرسة، تنعكس إيجاباً على الشركاء كلّهم، أي على التلامذة والأهل أنفسهم والمعلّمين والإدارة المدرسيّة.

كيف تظهر ثمار هذا التفاعل في حياة الأهل مع أولادهم وفي قدرتهم على متابعة تعلّم هؤلاء؟ تزداد معرفة الأهل بكيفية التعامل مع أولادهم وتشجيعهم ومساعدتهم في البيت، ويزداد أيضاً فهمهم للمنهج وما يتعلّمه أولادهم في المدرسة. كذلك يكتسب الأهل مهارة النقاش مع أولادهم باليوم الدراسي وما هو متوقّع من أولادهم في دروسهم وواجباتهم المدرسيّة في البيت. وقوف المدرسة إلى جانب الأهل يساهم

بتبديل نظرتهم إلى عمل المعلّمين وطريقة تعاملهم مع التلامذة، فيكبر احترامهم لما يقوم به هؤلاء، خاصّة مع التلامذة الذين يعانون ضعفاً في مادةٍ ما أو يعانون من صعوبة تعلمية معيّنة.

٢. الأوضاع المنزليّة التي تؤثّر مباشرة على النجاح المدرسي

تُجمعُ الشهادات التي قدّمها معلّمون وأولياء تلامذة حول هذا الموضوع (NPTA, 2000) على أنّ الأجواء التي يخلقها الأهل، وبخاصة الأم في المنزل، تترك أثرها المباشر على أداء التلميذ ومدى تعلّمه. ويؤكّدون أنّ بالإمكان قراءة هذه الحقيقة في حالات التفوّق أو الفشل عند بعض التلامذة، والتي يعزو المعلّمون السبب الأهمّ فيها لأوضاع الولد البيتيّة.

في هذا الإطار، من المفيد التوقف عند خمس نقاط لها تأثيرها المباشر على تعلّم الأولاد ونجاحهم الأكاديمي والمعرفي، وهي: عادات العمل في العائلة، التوجيه والدعم الأكاديميَّين، المشاركة في نشاطات أولادهم مثل حثّهم على الاكتشاف والمناقشة، تنمية اللغات وإتقانها، تعزيز الطموحات الشخصية والتعبير عن الانتظارات المستقبليّة.

١) عادات العمل في العائلة

تؤثّر عادات العمل في العائلة بشكل مباشر على أداء التلميذ في المدرسة. فهو يؤدي عملاً أفضل في المدرسة عندما يؤمّن والداه له الوقت الضروريّ للدرس، والوقت الكافي للّعب والتسلية، وعندما يعطون الأولوية للعمل المدرسي والمطالعة، ملتزمين مبادئ التوقيت الصحيح والمواعيد الدقيقة في النشاطات المنزليّة. هذا يعني، ضرورة

مساعدة كلّ ولد على تطوير عادات خاصة بالدرس منذ نعومة أظفاره. فحين تُعلّم المدرسة التلامذة، وأحياناً الأهل إذا استطاعت، كيفية إدارة وقتهم وتنظيم أعمالهم، تساعد الأهل كثيراُ على فهم أهميّة تطوير روتين معيّن للعمل. كذلك يستطيع المعلّمون أن يساعدوا الأهل على فهم ضرورة تحميل أولادهم مسؤوليات محدّدة في البيت، بحيث يستطيعون توزيع أوقاتهم بين الواجبات التعلمية في المنزل وبين اللعب والتسلية.

٢) التوجيه والدعم الأكاديمي

التعلّم مسيرة حياة، ومهما تعلّم المرء يبقى بحاجة إلى تعلّم جديد. فترسيخ التعلّم ضروري عند الولد لكي يستطيع المضيّ في رسم طريق المستقبل. إلا أنّ مسيرة المتعلّم في مرحلة المدرسة قد تواجه صعوبات تعلميّة في نواحٍ معيّنة. كيف يتعاطى الأهل مع هذا الواقع؟ بالطبع تختلف ردّات الفعل وطريقة التعاطي بحسب مستوى الأهل العلميّ والطريقة التربويّة التي يتّبعونها مع أولادهم. فمنهم من يلجأ إلى المحاسبة بالتأنيب وتوجيه الكلام القاسي، وأحياناً بالضرب أو بحرمان التلميذ من أمرٍ يحبّه، ألخ... غير أنّ علم التربية يدعو إلى اعتماد الإيجابيّة في التعامل: فالأهل مدعوون ليُظهروا اهتمامهم الجدّي بما يتعلّمه أولادهم من خلال المتابعة اليوميّة والأحاديث الدائمة والمنفتحة معهم. وتلعب المدرسة، إدارة ومعلّمين، دوراً هاماً في مساعدة الأهل في هذه المهمّة، من خلال التوجيه والتنشئة واللقاءات المشتركة، بغية تمكين الأهل من تقديم أفضل مساعدة ممكنة لأولادهم. أمّا مساعدة الأهل لأولادهم فتتمّ من خلال:

التشجيع: حيث يقوم الأهل بتشجيع أولادهم وتهنئتهم أو التنويه بالعمل الجيّد الذي يقومون به في المدرسة. كما يظهر هذا التشجيع

بأحاديث الأهل عن إنجازات أولادهم وعرض أعمالهم في البيت (عمل يدوي في العلوم، رسم وغيره). لكن يبقى على الأهل أن يكونوا حذرين فلا يسترسلوا كثيراً بالتكلّم عن أولادهم لئلاّ يصبح هذا مصدر إزعاج لهؤلاء، كما عليهم واجب الحذر من المقارنة بينهم وبين إخوتهم أو رفاقهم. والأهم في عمليّة التشجيع، أن يشعر الأولاد أنّ أهلهم معهم، إلى جانبهم، يساندونهم و يشجّعونهم، بحضورهم الشخصي وبكلماتهم ومبادراتهم.

معرفة نقاط القوّة ونقاط الضعف في تعلّم أولادهم: عندما يعرف الأهل أين تكمن قوّة أولادهم وضعفهم التعلّمي، يتمكّنون من فهم توقّعات المعلّمين منهم، ويضعون هم أيضاً توقّعات واقعيّة تسمح لأولادهم بتحقيق النجاح. وغالباً ما يوجّه الأهل دعمهم باتجاه مواقع الضعف في تعلّم الأولاد ونموّهم، بغية ردم الهوّة. مدركين أنّ الأولاد لا يتعلّمون بالسرعة نفسها، يجتهد الأهل لاكتشاف إيقاع كلّ ولد من أولادهم في التعلّم والأسلوب الأكثر ملاءمة لطباعه وشخصيته وتربيته. لهذا الغرض، قد يكون مفيداً للجميع تطوير نظام لتبادل المعلومات بين الأهل ومعلّمي أولادهم ليتمكّنوا من مساعدتهم على سلوك طريق النجاح.

توفير المناخ المنزلي الملائم للتعلّم بحيث يوفّر الأهل مكاناً هادئاً وملائماً لعمل الولد (طاولة، مكتب صغير، غرفة خاصة...) بعيداً عن التلفزيون وكلّ الوسائل التي تشتّت تركيزه، كما يوفّرون أجواء هدوء وصمت، وإضاءة جيّدة، و يضعون بمتناول يديه كلّ الأشياء التي قد يحتاجها الولد وقت الدرس مثل: أوراق، أقلام، قاموس، ممحاة، وما إليها.

تنمية مهارات الدرس الجيّد وإتمام الواجبات المنزلية التعلمية من خلال:

- مساعدة الأولاد على اعتماد توقيت محدّد يومياً ومدّة معيّنة في المنزل بحسب عمر الولد وصفّه.
- التكلّم معهم في واجباتهم ومعاونتهم في حلّ المشاكل إذا وُجدت بحسب معرفتهم وقدراتهم.
- تطوير نظام لتسجيل الفروض والواجبات، والمحافظة على توقيتها، وزمن إعطائها للتلميذ وأوان إعادتها إلى المدرسة، بغية مساعدة أولادهم على تنظيم أوقات عملهم وتتميم كلّ واجب يُعطى لهم في حينه.
- مساعدة أولادهم على تحديد الوقت اللازم لكلّ واجب مدرسي آخذين بالاعتبار البحث والكتابة والحاجات المرافقة. مثلاً: قد يضطرّ والد للذهاب إلى المكتبة برفقة ولده ليشتري أدوات خاصة لواجب مدرسي في العلوم الطبيعية.

٣) المشاركة في نشاطات هادفة للتحفيز على الاكتشاف والمناقشة

مّما لا شكّ فيه أنّ النشاطات العائليّة: الهوايات، الألعاب، والزيارات الاجتماعيّة والرحلات السياحيّة وغيرها، تشكّل مناسبات مهمّة لمساعدة الأولاد على النموّ لترسيخ مبادئ ومعلومات تعلّموها في المدرسة. في هذا المجال، يستطيع المعلّمون ولجان الأهل توفير المعلومات والتوجيهات الضروريّة للأهل لمساعدتهم على الاستفادة من الأوقات النوعيّة التي يقضيها أفراد العائلة معاً. وذلك من خلال مساعدتهم على:

متابعة اهتمامات أفراد العائلة ونشاطهم، بحيث يتشارك الأهل مع أولادهم هواياتهم واهتماماتهم ويتحادثون بها محوّلين تواصلهم وتفاعلهم إلى خبرات تعلميّة. ويقوم الأهل بتدريب أولادهم على تحويل المسائل

الروتينية اليومية مثل وضع الطاولة، والطبخ، وتنظيم أغراض المكتبة، وغيرها من الأمور، إلى فرصٍ للتعلّم، فيتعلّم الأولاد أدبيات الحياة، ويكبرون على المسؤولية، ويكتسبون مهارات التنظيم والترتيب وأصول التصرّف المجتمعي.

إستخدام التلفزيون ومواد المطالعة، بحيث يوفّر الأهل لأولادهم مطبوعات (مجلات، جرائد، كتب) ويساعدونهم على تطوير عادة المطالعة المسائيّة، بما في ذلك القراءة بصوت مرتفع وطرح الأسئلة ومناقشة القصص. كذلك في وضع نظام لمشاهدة برامج تلفزيونيّة مختارة ومناقشتها في البيت أو حتى في الصف بعد الاتّفاق عليها مسبقاً مع المعلّمين.

الالتزام بنشاطات ثقافيّة تجري في المجتمع المحلّي: محاضرات، لقاءات حوار، معارض، متاحف، زيارة الأماكن التاريخيّة والأثرية، الحدائق العامّة... كما بإمكان المدرسة والأهل تنظيم لقاءات تعلّم مسائيّة مشتركة للأهل والأولاد داخل المدرسة في ناحية تعلّمية معيّنة، مثل الموسيقى، الرسم، مواضيع حياتيّة، وهذه نشاطات تشجّع الإصغاء لدى الكبار وتساهم بخلق تفاعل إيجابي سليم بين الأهل وأولادهم.

٤) تنمية اللغات وإتقانها

يتّفق اختصاصيو التربية على أنّ الكثير من التعلّم يعتمد على قدرة التلميذ على الإصغاء والقراءة والتعبير عن أفكاره، كتابةً ومشاركة. من هنا ضرورة إعطاءِ الأهل أهميّة كبرى لاكتساب أولادهم المهارات اللغويّة الضروريّة لنجاحهم من خلال إغناء اللغة بالمفردات وتطوير مهارتي القراءة والكتابة. وفي هذا، تستطيع المدرسة أن توجّه الأهل:

- ليستخدموا الكلمات الصحيحة والجُمل الكاملة للتواصل مع الآخرين ومع أولادهم خصوصاً، مشجّعين الأحاديث والمناقشات المفيدة والهادئة إلى طاولة العشاء أو في غرفة الجلوس.
- ليشجّعوا أولادهم وهم بعد يافعين، على القراءة جهراً أمام أفراد العائلة، أو كتابة يوميّاتهم وخواطرهم، وغيرها...

٥) التعبير عن توقعات وانتظارات مستقبليّة

تسأل أناساً حقّقوا النجاح وحصدوا الإنجازات في حياتهم عن مصدر طموحهم وسرّ نجاحهم، فيجيبونك غالباً: «جوّ البيت وتشجيع والديّ ومساعدتهما، وتجاوبي معهما أوصلتني». العبرة أنّ البيت هو المكان الأول حيث تولد الأحلام وتكبر الطموحات. وتلعب انتظارات الأهل وتوقّعاتهم وكيفية متابعتهم تعلّم أولادهم، دوراً أساسياً في بناء طموحات هؤلاء. لذلك بإمكان المدرسة أن تعمل مع لجنة الأهل لمساعدة الأهل على:

- وضع معايير وتوقّعات عالية لتعلّم أولادهم، شرط أن تبقى واقعيّة كفاية، بحيث تتماشى مع إمكانيات هؤلاء وقدراتهم.
- مساعدة أولادهم على وضع أهداف واضحة يسعون لتحقيقها، واكتساب الاحترام الذاتي والثقة بالنفس للوصول أليها.
- مساعدة أولادهم على التخطيط للمستقبل من خلال التكلّم معهم حول ما ينوون فعله، متوقّفين عند المهارات والمعارف التي يحتاجونها لبلوغ هذه الغاية. وبالتالي السهر على توجيه تعلّمهم المدرسي ليخدم ميولهم المهنيّة في المستقبل.
- مساعدة أولادهم، بحسب مرحلة العمر، على اختيار المدرسة، أو

المعهد، أو الجامعة التي تلبّي حاجاتهم الحقيقية وتتلاءم مع إمكانية أهلهم.

٣. ماذا يعيق مشاركة الأهل بتعلّم أولادهم في البيت؟

إذا كان ما ورد سابقاً ممكناً تحقيقه، فلماذا لا يصبح حقيقة واقعة مع أهالي مدارسنا وفي مجتمعاتنا العربية؟ فهل يكفي إطلاق النظريات والآراء وإسداء النُصح؟ بالطبع من الممكن العمل على تحقيق نظريّات كهذه وقد أصبحت تجارب ناجحة في مدارس كثيرة. غير أنّ مبادرات كهذه، غالباً ما تصطدم بعوائق عدّة قد تؤخّر مشاركة الأهل أو تعيق تقدّمهم في لعب دور أساسي بتعلّم أولادهم. من هذه العوائق، ثلاثة يجدر التوقّف عندها:

أ. سوء فهم الإداريين والمعلمين لدور الأهل في تعلّم أولادهم

تختلف مقاربة كلّ أهل لتعلّم أولادهم بحسب مستواهم العلمي أو خلفيّاتهم الثقافية وحبّهم للمعرفة والعلم. غير أنّ ما يؤثّر على عمل الأهل إلى جانب أولادهم بشكل مباشر، هو نظرة الإدارة المدرسية والمعلمين إليهم، وإلى مدى قدرتهم على مساعدة أولادهم ومتابعة تعلّمهم. فغالباً ما يسيء الإداريون والمعلّمون فهم دور الأهل ويميلون لاتّخاذ موقف من اثنين: إمّا أن يطلبوا من الأهل أكثر بكثير من قدرتهم عليه، وإمّا أن يطلبوا إليهم عدم التعاطي بتعلّم أولادهم. في المنطق التربوي، يجدر بالإدارة المدرسية والمعلّمين، إلى جانب التوقّعات التي تتشكّل لديهم عن دور الأهل وأهمّيته، أن **يسألوا ذواتهم**: ماذا نفعل لنساعد الأهل على تحمّل مسؤولياتهم ومتابعة تعلّم أولادهم بطريقة صحيحة؟ هل نوفّر لهم التوجيه الضروري؟ هل نشعرهم أنّنا بجانبهم في

كلّ الأحوال، وخاصّة في بعض الحالات الصعبة؟ واقع الحال في الزمن الحاضر أنّ الأحكام المُسبقة ما زالت سيّدة الموقف، فإذا تغيّب والد عن اجتماع، يُحكم عليه أنّه غير مكترث؛ وإذا لم يشارك والدان في نشاط مدرسّي ما، يعتبران مستقيلان من دورهما؛ وإذا طالبت أمّ بفهم ما يجري مع ولدها في الصفّ، اعتُبرت «قويّة لا تُطاق». الأحكام المتسرّعة والمُسبقة تُعيق عملياً مشاركة الأهل في تعلّم أولادهم ممّا يترك الأثر السلبي على أداء التلامذة. من هنا أهميّة التواصل مع الأهل وتفهّم أوضاعهم وأسباب تلكُّئِهم أحياناً عن القيام بواجباتهم؛ فمنهم من يمنعه عمله من المشاركة في النشاطات النهارية، ومنهم من يتأخر في العمل فلا يتمكن من المشاركة في اجتماعات مسائية، ومنهم من لديه مريضٌ في البيت عليه ملازمته، وغير هذه من الأسباب الكثير الكثير. هذه الحقيقة يجب أن تحثّ المربين على اتّخاذ مبادراتٍ تجيبُ فعلاً إلى حاجات الأهل وهمومهم.

ب. سوء فهم الأهل أنفسهم لدورهم في تعلّم أولادهم

يعتقد بعض الأهل أنّ مشاركتهم في تربية أولادهم تقتصر على توفير المأكل والمشرب والملبس والمدرسة. أمّا متابعة التعلّم يومياً، فغير موجود في توصيفهم المهني ويجب أن يتمّ على أيدي غيرهم. بعضهم الآخر يدرك تماماً أنّ مشاركته ومتابعته لتعلّم الأولاد ضروريّة، ويرى في ذاته القدرة على القيام بذلك، لكنّ هذا البعض يتردّد كثيراً بالقيام بهذه المهمّة خوفاً من تجاوز الحدود والتعدّي على دور المعلّمين، لا سيّما في مرحلة التعليم الأساسي. دور المدرسة مهمّ جداً وفاعل في مساعدة الفئتين على توضيح المفاهيم، وتوفير المعلومات، وإعطاء التوجيهات، وإيجاد الفرص الملائمة لتدريب الأهل على المهارات التي تسمح لهم بالقيام بمهمّاتهم إلى جانب أولادهم بنجاح. فلا تقدّم يُرجى في هذا

الإطار إلاّ إذا اكتسب الأهل الثقة الكافية بالذات وأدركوا أهمية دورهم وحتميته في بعض الأحيان، لنجاح الولد أو فشله بالتعلّم.

ج. افتراضات خاطئة

يفترض بعض الأهل والمربّين معاً بأنّ الأهل ليسوا بقادرين على مساعدة أولادهم في تعلمهم وبالتالي على النجاح في المدرسة. وهذا الافتراض يؤذي الأهل مباشرة إذ يدفعهم إلى التشكيك في قدراتهم. وتدحض التجارب السابقة هذا الافتراض بشكل قاطع. يكفي مثلاً أن نتذكّر أمّاً كانت تجهل الكتابة والقراءة، لكنّها كانت تُجلس أولادها كلّ يوم لمراجعة ما يتعلّمونه في المدرسة، تجلس هي معهم وفي يدها كتاب تطالعه، وكلّ فترة تستبدله بكتاب آخر لئلا يكتشف أولادها جهلها للقراءة فيتوقفوا عن العمل. وغيرها ممّن كنّ يتأكدن من حفظ أولادهنّ المعلومات، فيمسكن الكتاب ويدعن الأولاد يعيدون ما تعلّموه غيباً، فيثنين على نباهتهم أحياناً ويطلبن إليهم الدرس مجدّداً لترسيخ المعلومة أحياناً أخرى. ويخبر أحد الأطّباء أنّه لم يكتشف أنّ أمّه لا تتقن الكتابة والقراءة إلاّ عندما أصبح في المرحلة الثانوية حين طلب إليها مرّة أن تقرأ رسالة موجّهة من قيادة الكشافة وتجيب عليها ليتمكّنَ من السفر معهم، فارتبكت وأخبرته أنّها لا تتقن القراءة والكتابة. غالبية الأهل يودّون لو استطاعوا متابعة تعلّم أولادهم المدرسيّ ومساعدتهم. لكنّهم يفتقدون لأمرين مهمّين ليتمكّنوا من ذلك: الأول معرفة أيّ نوع من المساعدة والمتابعة هو الأفضل لأولادهم، والثاني الشجاعة لمقاربة التعلّم الجديد الذي يكتسبه الولد والسؤال حوله للتمكّن منه (Boyd & Hord, 1994).

فرضيّة ثانية خاطئة تنبع من الأهل وتؤثّر سلباً على عملهم مع أولادهم وعلى أداء هؤلاء. يفترض بعض الأهل، وهم كثيرون، بأنّ تعلّم أولادهم واختبارهم المدرسي لا يختلفان عن اختبارهم وتعلّمهم هم

عندما كانوا في المدرسة، علماً أنّ بعضهم لم يزر صفّاً في مدرسة منذ أن كان تلميذاً، ولا فكرة لديه عن المنهج وتطوّر الأساليب التعلّمية وطرائق التعليم. أحد الوالدين قال لي يوماً (كان ولده في الصفّ الأساسي السابع): «أنا لم أكن جيّداً باللغة العربية ولم أحبّها يوماً، لماذا سيختلف ولدي عني، . . . وماذا ستفيده اللغة إذا كان سيصبح مهندساً؟». كيف تواجه الإدارة المدرسية فرضيّة كهذه؟ بعقد حلقات علميّة تعرّف الأهل على متطلبات المنهج وعلى طرائق التعليم والأدوات التربوية المتّبعة، والتركيز على التكامل بين دور المدرسة ودور الأهل. وقد أثبتت التجربة أنّ الأهل الذين يشعرون أنّ المدرسة تقدّر مساهمتهم في تعلّم أولادهم، وتمنحهم ثقتها، وتوفّر لهم كلّ المعلومات والتوجيهات الضروريّة للتمكّن من توفير المتابعة السليمة لأولادهم، يقومون بعمل رائع إلى جانب أولادهم ولا ينفكون يشاركون المدرسة في كلّ ما تقوم به من مشاريع ونشاطات.

٤. مشاهدات واستنتاجات

في جولةٍ استطلاعية على بعض المدارس في لبنان حول لمعاينة مدى الشراكة التربوية إذا وُجدت والمبادرات التي تبرز في الأوساط المدرسيّة بهذا الاتجاه، التقيت عدداً من الأهل والتلامذة والمعلمين الذين، إلى جانب حديثهم عن تجارب محدّدة، نقلوا انطباعاتهم ومشاهداتهم واستنتاجاتهم عن مدى تأثير شراكة كهذه، بين المدرسة والأهل، على جوّ المدرسة العام وعلى كلّ شركاء التربية.

أ. الأهل

عندما تسأل واحداً من الأهل أن يصف علاقته بمدرسة أولاده وكيفية مشاركته في النشاطات المدرسيّة. غالباً ما يتضمّن الجوابُ كلاماً

عن نشاطات مثل زيارات متكرّرة للمدرسة، المساعدة في الواجبات الدراسية المنزلية، التطوّع لبعض الأنشطة، وغيرها. أمّا عن نتائج مشاركة كهذه وانعكاساتها على علاقة الأهل بالمدرسة وبأولادهم، وعلى مدى تأثر تعلّم الأولاد بها، فيتوقف الكثيرون عند إيجابية المسألة خاصة إذا شعر الأهل بأنّهم موضع ترحيب وبأنّ وجودهم في المدرسة لا يثير أيّة مشاعر سلبيّة. ويقول أحد الآباء: *«أعتقد أنّ نجاح مشاركتنا كأهل في نشاطات المدرسة ومدى التزامنا قضاياها، منوط إلى حدّ كبير بأسلوب مدير المدرسة ونوعيّة الحضارة المدرسية التي يحاول خلقها. فإذا كانت هذه الحضارة تقوم على الإيجابية بالتعامل والتعاون ومبدأ الشراكة في التربية، تكون المشاركة ناجحة ومثمرة. وقد اختبرنا أسلوبين قياديين في مدرسة أولادنا خلال العقد الأخير، واحد إيجابي كنّا فيه فاعلين ومشاركين فانعكس هذا الأمر ارتياحا في العلاقات الاجتماعية وإنتاجية أفضل في التعلّم الأكاديمي، وآخر تقليدي، يستبعد الأهل ويحصر التعليم والتعلّم في الإدارة والمعلمين، وعدنا كأهل إلى موقع الفريق الآخر الممنوع عليه التدخّل في الشؤون التعليميّة لأولاده.»*

وتفيد إحدى الأمهات عن خبرة عاشتها مع مدرسة أولادها حين دعتهم لجنة الأهل فيها لمتابعة برامج تثقيفية وفنيّة مقابل بدل رمزي، فاختارت هي أن تتابع برنامج تعلّم اللغة الإيطالية. شدّدت هذه الوالدة على أنّ مشاركتها لم تساعدها على تعلّم اللغة فحسب، بل الأهم أنها ساعدتها كي تتواصل مع أمّهات أخريات وتتشارك وإيّاهنّ هموم تعلّم أولادهن. ثمّ أتاحت لها الفرصة، وهي موجودة في حرم المدرسة، كي تتعرّف إلى الإداريين والمعلّمين بشكل أفضل وتتواصل مع بعضهم حول شؤون أولادها. كما تسنّى لها أن تراقب، وإن من بعيد، أماكن تواجد التلامذة ونوعيّة لعبهم وكيفيّة تصرّفهم مع بعضهم. كلّ هذه تركت آثارها

الإيجابية لناحية تعلّم أولادها، وقد باتوا يأخذون دروسهم بجديّة أكبر، بعد أن أدركوا أنّ حضور والدتهم صار حضوراً فاعلاً. وقد تعزّزت علاقتها مع أولادها وتعمّقت بعد أن صارت تعرف، ولو قليلاً ممّا يجري معهم في المدرسة. هذه العلاقة تقدّمت أيضاً مع المعلّمين الذين صارت تربطها ببعضهم معرفة قريبة تسمح لها بمتابعة أمور أولادها معهم عن قرب.

وجواباً على سؤال وجّه إلى عدد من الأهالي حول رؤيتهم للشراكة التربوية بينهم وبين مدارس أولادهم، تمّ استخلاص الأجوبة التالية:

١) *نريد أن نعرف ماذا يجري في مدرسة أولادنا، فما الضرر بأن تطلعنا المدرسة على روزنامة العمل بشكل دورّي؟ كما نريد أن نعرف كيف يتصرّف أولادنا في المدرسة ونوعية سلوكهم وعلاقاتهم مع رفاقهم ومعلميهم، ليس فقط عند حدوث مشكل ما، فنُفاجأ بدعوتنا إلى المدرسة لإبلاغنا أنّ ولدنا معاقب، أو مفصول من المدرسة، أو أنّ سلوكه لا يُحتمل وعلينا أن نعالج الأمر. لماذا لا يتمّ استدعاء الأهل والتشاور معهم باكراً عند ملاحظة خلل ما في سلوك التلميذ من ضمن فلسفة «قليل من الوقاية خير من الكثير من العلاج»؟*

٢) *نحن لم ندرس تربية كما لم يعلّمنا أحد كيف نتعاطى مع أولادنا. لدينا ثلاثة أولاد، واحد في التاسعة من عمره وآخر في عمر الثالثة عشرة وثالث في السابعة عشرة، نتعامل معهم بحسب الخبرة ونصائح الأهل والأصدقاء. لماذا لا يساعدنا المربّون، إداريو المدرسة ومعلّموها، وعالم النفس أو المساعدة الاجتماعية، على إيجاد الحلول للمشاكل؟ لماذا لا يعلموننا أو على الأقل يرشدوننا إلى بعض الطرائق والأفكار لكيفية التعامل مع أولادنا في حالات*

مختلفة، وذلك من خلال جلسات حوار متكرّرة وندوات ومحاضرات تربوية وربّما نشرة متخصصة موجّهة إلى الأهل؟

٣) نعلم أنّ همّ المدرسة أن تحقق نجاحات أكاديمية تعزّز مكانتها في المجتمع، ولكن عندما يتمّ هذا الأمر على حساب الأولاد ومستقبلهم فالأمر خطير. وهذا يطرح مسألة الشروط التي توضع لاختيار التلامذة، لا سيّما في المدرسة الخاصة، حيث تعتمد بعض المدارس معايير أكاديمية عالية، لا تعطي الأهمية فيها لحياة الولد وتفاعله ووضعه الجسدي والنفسي والعلائقي، بل تركّز على إنجازه الأكاديمي فقط، فتصرفه من المدرسة إذا لم يحصل على معدّل معيّن. وقد نقل بعض الأهل كيف تبدّلت نفسيّات أولادهم، وفقدوا احترامهم الذاتي وثقتهم بنفوسهم، وشعروا أنّهم مكروهون وغير مفيدين، لمجرّد أنّ مدرستهم التي كبروا فيها وأحبّوها وأسسوا لصداقات مهمّة فيها، صرفتهم لأنّهم لم يحصّلوا العلامة المطلوبة، فاضطروا للانتقال إلى مدرسة أخرى بقيت مكاناً غريباً عنهم، فباتوا غرباء عن ذواتهم. لماذا لا تقوم المدرسة بعمل تربوي متكامل مع تلامذتها وتدعو الأهل لمشاركتها هذا الهمّ التربوي من خلال التواصل والحوار المستمرّين؟

٤) عبّر عدد كبير من الأهل عن سعادتهم بالنشاطات الثقافية والفنية والرياضية التي تنظمها مدارس أولادهم وتدعوهم إليها. ويقول أحد الآباء: «فرحت كثيراً وشعرت بفخر عظيم عندما دعاني المسؤول الرياضي في مدرسة أولادي وطلب إليّ مساعدته والمعلمين على تنظيم دورة في كرة السلّة بين الصفوف»، ويضيف «وفرحت أكثر عندما استدعاني المدير بعد ذلك وطلب إليّ أن أشكّل فريقاً من الأهالي الذين يمارسون هذه اللعبة لنلعب ضدّ فريق من المعلمين

وقد كان الاختبار رائعاً، وما زلنا نلتقي أسبوعياً للتمرين منذ ثلاث سنوات، وقد نشأت بيننا كأهل ومعلّمين صداقة كبيرة انعكست إيجاباً على حياة أولادنا وتعلّمهم في المدرسة».

٥) تنظيم حلقات إرشاد وتوجيه للأهل والأولاد معاً حول مواضيع متنوّعة ومهمّة لهم: المستقبل الجامعي والمهني، علاقة الأهل بالمراهقين، كيفية تطوير عادات الدرس، مهارات الحوار والإصغاء، وغير ذلك من المواضيع.

ب. التلامذة

لم تكن ردّات فعل التلامذة وأجوبتهم أقلّ شأناً من تلك التي عبّر عنها ذووهم. وقد أظهر بعض هؤلاء درجة نضج مثيرة للإعجاب حين عبّروا عن تقديرهم للعمل التربوي الذي يقوم به إداريو مدارسهم ومعلّموها. لكنّهم توقفوا أكثر عند ما يريدون أن يروه يتحقّق في هذه المدارس. فقد عبّر التلامذة عن رغبتهم برؤية معلّميهم والمسؤولين عنهم يرفعون جسور التواصل والتعاون معهم ومع أهلهم. كما عبّر عدد منهم عن أهميّة متابعة ذويهم لتعلّمهم في البيت متوقفين عند المسائل التالية التي يعتبرون أنّ لها التأثير الكبير في نجاحهم:

- اكتساب عادة الدرس بطريقة منظّمة. وقد ذكر بعضهم كيف كان أهلهم يحدّدون لهم وقتاً وجب التقيّد به لإتمام الواجبات المنزلية الدراسية، وذلك منذ كانوا في صفوف صغيرة. وينقل أحدهم أنّ والدته كانت تعطيه نصف ساعة للاستراحة بعد وصوله إلى البيت وتناوله الغداء، ليجلس بعدئذٍ إلى طاولة درسه وينهي فروضه ودروسه لمدّة لا تقلّ عن الساعة، ثمّ يأخذ استراحة لعشر دقائق، يعود بعدها فيطالع فصلاً أو أكثر من كتاب يختاره، وكلّ يوم بلغة معيّنة، فكانت

جلسته لا تقلّ عن الساعتين، يصبح بعدها حرّاً ليشاهد التلفاز أو ينصرف إلى هوايته مهما كانت حتى يحين موعد العشاء والنوم.

- اكتساب الثقة بالذات والقدرة على التعلّم وتشجيع الأهل في هذه الناحية مهمّ جداً.
- وجود الأهل إلى جانبهم وقت الدرس في البيت منذ سنيّهم الأولى، ساعد الكثيرين من التلامذة على تنمية موقف إيجابي تجاه الدراسة والبحث.
- اكتساب القدرة على تنظيم الوقت، ووضع الأولويات، والمراجعة، والحفظ مع أحد الوالدين دون خوف أو تعقيد.
- اكتساب الشجاعة للسؤال بغية الاستفهام والتعلّم وتصحيح الفروض مع أحد الوالدين بحسب معرفته، والكتابة (مذكرات، يوميات، شعر، نثر، قصّة) وغيرها.
- الحصول على علامات أفضل وعلى تقدير المعلّمين، بحيث يصبح وجودهم في المدرسة أكثر فعالية ومصدر فرح لهم.

ج. الإداريون والمعلمون

يبدو أنّ متابعة الأهل لتعلّم أولادهم في البيت ينعكس إيجاباً أيضاً على عمل الإداريين والمعلّمين وعلاقتهم بالتلامذة وذويهم. غالباً ما تسمع في غرفة المعلمين تعليقات مثل «عادل لا خوف عليه، فأهله يتابعونه عن قرب»؛ «مالك عمله رائع، يبدو أنّ والده يجلس إلى جانبه يومياً حتى ينهي واجباته المنزلية الدراسية»؛ «زينة فتاة مميّزة، ثقتها بذاتها كبيرة، ولا عجب، فأنت حين تتعرّف إلى والدتها تدرك أنّ المتابعة لا بدّ وأن تعطي ثمارها». كذلك تسمع تعليقات سلبيّة حول غياب الأهل عن حياة أولادهم، «مسكين فلان لا أحد يكترث له في البيت» أو «ليس لديه

من يتابعه»، أو «أهله يتركونه يفعل ما يشاء»، أو «كبر على الفوضى فكيف له أن يكتسب عادة الدرس وتنظيم الوقت»... وغيرها من التعليقات.

كيف يترك دور الأهل في تعلّم أولادهم في البيت أثره الإيجابي على الإدارة والمعلمين في المدرسة؟

- يختبر الإداريون والمعلمون أهمية دور العائلة، ولا سيّما الوالدين، في مدى اندفاع التلامذة إلى التعلّم والتفاعل مع الرفاق والمعلمين، وفي التشجيع المعنوي والنفسي الذي يلقونه.
- يعاينون مدى تأثير الأهل على أولادهم، لا سيّما في طريقة التعلّم التي يكتسبها الولد من متابعة ذويه له. وهذا ما يُظهر الفرق بين تلميذ يستطيع التركيز على الشرح في الصف لدقائق قليلة وآخر لمدة أطول.
- يعطون التلامذة أعمالاً منزليّة تسمح بتعزيز التفاعل بين التلميذ وأهله، وبترسيخ التعلّم.
- يدركون مسؤوليتهم في إبقاء الأهل في ضوء ما تقوم به المدرسة وما تتطلبّه، وبكيفية التعامل مع منهج ما، وبما يطلبه معلّم ما، إذا اختلفت طريقته عن المتّبع عادة.
- يزداد احترامهم للأوقات النوعيّة التي يجب أن تقضيها العائلة معاً، فلا يكثرون من الواجبات المنزلية الدراسية التي بالإمكان القيام بها في المدرسة، إنّما يركّزون على ما هو فعلاً جوهري وقد يتطلّب تدخّل الأهل كي يتمكّن التلميذ من القيام به.

٥. أفكار وبرامج قابلة للتطبيق

يتساءل مديرو المدارس أحياناً كيف السبيل لتحفيز الأهل على المشاركة في تعلّم أولادهم وما هي الطريقة لمساعدتهم كي تأتي هذه

المشاركة بالفائدة على أولادهم. هاك بعض الأفكار والبرامج القابلة للتطبيق، وقد اختبرتُ بعضاً منها، من موقعي كمدير مدرسة:

- إستخدام الإعلام لتوعية الأهل على أهمية دورهم وتحفيزهم على متابعة تعلّم أولادهم. مثلاً: وضع إعلان كبير على اللوحات الإعلانية في المدرسة، أو طباعته وإرساله في صفحة واحدة إلى الأهل وتضمينه بعض النصائح التربوية (Tips) التي تساعد الأهل على لعب دورهم بشكل فعّال؛ إستخدام جريدة المدرسة وتضمينها زاوية «هل تعلم»؟ للتركيز على هذا الموضوع أو نشر تجارب ناجحة ينقلها والدون أو تلامذة؛ وغيرها.
- إعداد سلسلة حلقات تعليمية تدريبية مخصّصة للأهل بغية مساعدتهم على إيجاد الطريقة الأنسب لكيفية متابعتهم أولادهم في البيت إن في مادة/ مواد محدّدة، وإن في كيفية مساعدة الولد على تطوير عادة الدرس وتنظيمها.
- دعوة الأهل لمعاونة المعلمين على تنظيم الملّف الشخصي portfolio لولدهم في كلّ جوانبه من ضمن لقاءات المعلمين والأهل. وهذا الملّف الشخصي يتضمّن الأبحاث والفروض والمسابقات والمشاريع التي يقوم بها التلامذة إلى جانب نموّهم العاطفي والنفسي وعلاقاتهم بالرفاق والمعلمين، والتي يجدر بالأهل مساعدتهم على حفظها وتبويبها والعودة إليها عند الحاجة.
- إجتماع المعلمين، كلٌّ بحسب صفّه ومادته، مع الأهل في بداية العام الدراسي لمناقشة قضايا كلّ تلميذ مع ذويه، والاتفاق معهم على خطّة تعزّز تعلّمه. في هذا الإطار، يجب أن تؤخذ قدرات الولد وحاجاته ومعرفته السابقة، وقدرة الأهل على المتابعة بعين الاعتبار.
- تعزيز الأنشطة التي تساعد على التعلّم في البيت وتضمينها طرائق

موجّهة لمساعدة التلميذ على الاكتشاف، كما تساعد الأهل على متابعة أولادهم وعلى التمتع باكتشاف موضوعات علمية أو أدبية معهم.

- إعطاء التلامذة أنشطة تعلميّة إلى المنزل تشرك العائلة، مثل مقابلات حول موضوع معيّن، زيارات لمواقع أثريّة أو تاريخية، تقارير ترتكز على اختبارات عائليّة، وغيرها.
- تنظيم دورات تدريبيّة للأهل كي يعرفوا كيف عليهم تعليم أولادهم ومتابعتهم، على أن تتضمّن هذه الدورات برامج تتّصل بالمنهج وبالطرائق التي يستطيع الأهل استخدامها لينجحوا في عملية المتابعة.
- الاحتفال بنجاحات التلامذة، وخاصةّ الذين يحققون تقدّماً، بالتنسيق والتعاون مع الأهل، والتنويه بجهود الأهل المباشرة في هذه النجاحات (NPTA, 2000).